

مدينة ملحظ

"ذمار الصغرى"

مركز حكم ولاية اليمن

في عهد الوالي العثماني بهرام باشا

(٩٧٨ - ٩٨٣ هـ / ١٥٧٠ - ١٥٧٥ م)

إعداد / أحمد صالح عبدربه المصري

مدرس مساعد - قسم التاريخ - جامعة ذمار

a.s.m73@hotmail.com

توطئة:.

شهدت مرحلة الحكم العثماني الأول لليمن ٩٤٥ - ١٠٤٥ هـ / ١٥٣٨ - ١٦٣٥ م صراعاً سياسياً وعسكرياً بين السلطة العثمانية وأئمة الزيدية، إلا أن ذلك لم يكن السمة الغالبة لها، فقد تخللتها فترات هدوء نسبي، كما أن دور الولاة العثمانيين خلال تلك المرحلة لم يقتصر على النواحي العسكرية والسياسية فحسب، بل اهتموا بالجوانب الحضارية والاجتماعية وبمظاهر الحياة الدينية، فأقاموا المنشآت الخيرية العامة كبناء المساجد والمدارس والطرق والسدود، وأحيوا المناسبات الدينية مثل المولد النبوي الشريف، واهتموا بمحافل الحج، كل ذلك بهدف تخليد ذكركم، وتنفيذاً لسياسية السلاطين الذين أوصوهم بضرورة مراعاة تلك الجوانب للتقرب من الأهالي ولتخفيف تدمرهم، ولتفويت فرصة إعلان الثورات.

وقد تولى حكم اليمن خلال تلك المرحلة اثنان وعشرون والياً عثمانياً، حظي العديد منهم باهتمام المؤرخين اليمنيين الذين دونوا سيرهم إما في مؤلفات تاريخية خاصة بهم، أو ضمن مؤلفات تناولت تاريخ اليمن خلال تلك المرحلة، فنقلت إلينا معلومات دقيقة عن أعمالهم ومنجزاتهم، خاصة تلك المؤلفات التاريخية التي أنحاز مؤلفوها إلى جانب العثمانيين، وعلى الرغم من المبالغة والهالة العظيمة التي أُحيطت بها أعمال الولاة فيها، إلا أن تلك المؤلفات - التي لا يزال الكثير منها مخطوطاً - تعد من أهم المصادر الأساسية في الدراسات التاريخية سواء من النواحي السياسية أو الحضارية، وخاصة التي دونت أحداث الفترة التي عاصرها مؤلفوها، وذلك لتفرد الكثير منها بأخبار ومعلومات مفصلة دون غيرها من المصادر عن حوادث معينة، إما لقرب مؤلفيها من موقع الحدث أو تعمدهم إبراز هذه الحوادث لأي سبب من الأسباب، لذلك فإن مسألة تحقيقها يعد من القضايا المهمة، فإلى جانب ما توفره المخطوطات من مادة علمية، فإن عملية تحقيقها يأتي من باب الإسهام في نشر التراث.

ولعل خير مثال على ذلك مخطوطة (بلوغ المرام في تاريخ دولة مولانا بهرام)^(١) للمؤرخ محمد بن يحيى المطيب الزبيدي^(٢)، التي اعتنى فيها بتسجيل أحداث فترة مهمة من تاريخ الحكم العثماني لليمن وهي فترة حكم الوالي بهرام باشا^(٣) (٩٧٨ . ٩٨٣ هـ / ١٥٧٠ . ١٥٧٥) فإلى جانب اهتمام المؤرخ بإبراز النواحي العسكرية في سيرة بهرام باشا، فإن الجوانب الحضارية في سيرة هذا الوالي قد حظيت بالجمع الكبير من اهتمامه أيضاً، إلا أن المعلومات التي ذكرها المؤرخ المطيب عن مدينة ملحظ التاريخية ربما كانت أهم ما ورد في المخطوطة، فلا تكاد تخلو ورقة من أوراقها إلا وفيها ذكر أو إشارة للمدينة.

وقد توقفت كثيراً عند تلك المعلومات وثقتُ إلى معرفة المزيد عن المدينة، وما دفعني إلى ذلك هو غياب ذكرها في المعاجم الجغرافية اليمنية التي اطلعت عليها، وهذا الأمر حفزني؛ لإعداد هذا البحث بما توفر من معلومات عن المدينة سواء لدى المؤرخ المطيب، أو في ثنايا المخطوطات التاريخية المعاصرة لفترة الحكم العثماني الأول، أم لدى المؤرخين المتأخرين، لما يمثله ذلك من أهمية تاريخية وسياسية، وعمرانية لتاريخ مدينة ذمار خاصة، واليمن عامة في العهد العثماني الأول، إذ ليس من السهل بمكان أن تندثر مدينة، أو تمحى معالمها، ويغفل ذكرها، خاصة وأنها قريبة العهد. ولا أدعي بأنني تمكنت في هذا

البحث من تقديم صورة متكاملة عن تاريخ مدينة ملحظ، فمازال الغموض يكتنف تاريخها، نظراً لقلّة المعلومات المتوفرة عنها، التي مازال الكثير منها حسب اعتقادي في بطون المخطوطات التاريخية التي تناولت تاريخ اليمن في تلك الفترة، والتي لم يتسنى لي الإطلاع عليها، لذا فأني قمت بجميع ما أمكن جمعه من معلومات عن المدينة، وحاولت مناقشتها ومقارنتها ببعضها بهدف وضع تصور أولي عن تاريخ المدينة لتكون اللبنة الأولى لإعداد دراسة عميقة و متخصصة، للتعريف بهذه المدينة التاريخية.

ولابد من الإشارة هنا إلى أن معظم المؤرخين الذين ذكروا مدينة ملحظ هم ممن عاصروا فترة تأسيسها أو عاشوا بعد ذلك بفترة لا تتجاوز مائة عام، كما أن ذكرهم للمدينة جاء في سياق حديثهم عن سيرة بهرام على اعتبار أن تأسيسه للمدينة يعد من أعظم منجزاته، أو جاء ذكرها في سياق ذكرهم للأحداث التاريخية التي وقعت في عهده وكانت ملحظ ساحة لها.

وصول العثمانيون إلى اليمن

كان وصول العثمانيين إلى اليمن وفقاً للخطة التي تبنتها دولتهم، لمواصلة المسار الذي انتهجه المماليك في مواجهة خطر التوسعات البرتغالية في البحر الأحمر والمحيط الهندي، وقد وصلت أولى الحملات العسكرية العثمانية إلى السواحل اليمنية سنة ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م بقيادة سليمان باشا الخادم^(٤)، ولم يقتصر الوجود العثماني على السواحل فقط، بل توغل في مناطق اليمن الداخلية لإخضاعها، ومثلت حملة أويس باشا^(٥) ٩٥٢هـ / ١٥٤٦م أولى الحملات العسكرية لتحقيق ذلك.

عقب تلك الحملة دخل العثمانيون في صراع مرير مع أئمة الزيدية من آل شرف الدين، وتمكن الأمير المطهر بن شرف الدين^(٦) من هزيمتهم، وحصر وجودهم في منطقة زبيد^(٧) خلال الفترة ٩٦٣.٩٧٥هـ / ١٥٥٦.١٥٦٨م. الأمر الذي دفع الدولة العثمانية إلى إرسال حملة كبيرة بقيادة سنان باشا^(٨) سنة ٩٧٦هـ / ١٥٦٨م والذي استعاد السيطرة على معظم أقاليم بلاد اليمن، حيث أخضع في بداية حملته المناطق الوسطى والجنوبية حتى عدن، ثم تقدم إلى المناطق الشمالية، فسيطر على صنعاء، ووصل بحملته إلى معاقل الأمراء الزيديين في ثلا^(٩) وكوكبان^(١٠)، وتوصل إلى عقد صلح مع الأمير المطهر منتصف ذي الحجة سنة ٩٧٧هـ / ١٥٧٠م^(١١). أصبحت بموجبه معظم المناطق الواقعة إلى الشمال من صنعاء تحت سلطة آل شرف الدين على أن تكون الخطبة والسكة باسم السلطان العثماني، في حين بقيت صنعاء وبعض المناطق الواقعة شمالها، ومعظم المناطق الواقعة جنوبها تحت الحكم العثماني المباشر، كما تضمنت بنود الصلح التزام المطهر بعدم مساعدة أخيه الأمير علي الذي كان متحصناً في حصن حب^(١٢). والذي تمكن في السنة نفسها من فك الحصار، وإنزال الهزيمة بالعثمانيين في تلك الجهات، وفي الوقت نفسه وصل إلى اليمن الوالي بهرام باشا؛ بهدف تعزيز حملة سنان باشا، وكانت المهمة الرئيسية التي كلف بها بعد وصوله إلى اليمن هي الاستيلاء على حصن حب، والقضاء على الأمير علي بن الإمام شرف الدين^(١٣)، وقد شرع في تنفيذ مهمته، حيث بدأ بقتال القبائل الموالية للأمير علي في تلك الجهات، من ثم توجه لمحاصرة الحصن، واستولى عليه في رجب ٩٧٨هـ / ١٥٧٠م^(١٤).

استثمر بهرام باشا حالة الاستقرار السياسي الذي عاشته السلطة العثمانية في اليمن، نتيجة لحملة سنان باشا، وعقد الصلح مع الأمير المطهر بن شرف الدين من ناحية، وموت الأمير علي بن شرف الدين، والاستيلاء على حصن حب من ناحية ثانية، حيث استقر في منطقة دمار^(١٥) واتخذ منها مركزاً لحكمه، فأقام مخيمه خارج المدينة متبعاً بذلك نظاماً سار عليه قادة الحملات العثمانية حيث عملوا على إقامة المعسكرات (المخيمات) خارج المدن الرئيسية، واتخذوا منها مقراً مؤقتاً لحكمهم أثناء تحركاتهم، وتنقلاتهم في الأقاليم اليمنية^(١٦).

وعمل على توطيد حكمه في المناطق التي سبق وأن بسط العثمانيون نفوذهم عليها، وتمكن من القضاء على التمردات القبلية التي اندلعت فيها^(١٧)، كما شجعت تلك الظروف على القيام بتوسيع ممتلكات الدولة العثمانية في مناطق لم تخضع من قبل لسلطتها، حيث تركزت توسعاته العسكرية في مخلاف جعفر^(١٨)، والمنطقة الواقعة جنوب غرب صنعاء إلى شمال غرب دمار، حتى حدود تهامة وهي مناطق تتميز بخصوبتها الزراعية، وشدة وعورتها^(١٩).

كانت تلك هي الظروف السياسية التي جعلت بهرام باشا يتخذ من منطقة دمار مركزاً لحكمه، ويختط بها مدينة ملحظ لتكون مقراً لإدارة أمور ولاية اليمن خلال فترة حكمه التي استمرت ست سنوات ٩٧٨-٩٨٣هـ / ١٥٧٠-١٥٧٥م. فلعبت المدينة بذلك دوراً مهماً في النواحي السياسية، كما مثل بناؤها نموذجاً للسياسة الإدارية التي اتبعتها الولاة العثمانيون في إقامة المنشآت العمرانية، والخدمية، والتجارية، والاقتصادية في اليمن.

وعلى الرغم من تناثر ذكر مدينة ملحظ في العديد من المصادر التاريخية، سواءً منها التي عاصرت الفترة التاريخية التي انشئت المدينة فيها، أم الفترات اللاحقة، خاصة عند الحديث عن فترة ولاية بهرام باشا ٩٧٨-٩٨٣هـ / ١٥٧٠-١٥٨٣م، إلا أن تلك المصادر لم تورد معلومات متكاملة، ومفصلة عن تاريخ المدينة منذ نشأتها، وهو ما جعل الغموض يكتنف تاريخها، ولعل محاولة تتبع ما ورد لدى المؤرخين من معلومات عنها والربط بينها ومقارنتها ربما يقدم تصور أولي عن تاريخ المدينة.

مدينة ملحظ عند المؤرخ المطيب

تعد مخطوطة "بلوغ المرام في تاريخ دولة مولانا بهرام" للمؤرخ محمد بن يحيى المطيب الزبيدي من أهم المصادر التاريخية التي وردت فيها معلومات دقيقة عن مدينة ملحظ كونها دونت سيرة بهرام باشا مؤسس المدينة.

الموقع والتأسيس والتسمية

لم يحدد المؤرخ المطيب موقع المدينة بشكل دقيق، وكلّ ما ذكره حول ذلك بأنها بُنيت خارج مدينة دمار، مُبيناً أهمية اختيار موقعها لتوسطه "بين صنعاء وتعز وعدن وبعدان وزبيد و التهائم وما والاها إلى جازان".^(٢٠) وهي أهم مناطق النفوذ العثماني بموجب صلح سنة (٩٧٧هـ / ١٥٧٠م) بين سنان باشا و الأمير المطهر. إلا أننا نستطيع تحديد موقعها من خلال الإشارات التي وردت عند المؤرخ في سياق حديثه عن أهم الأحداث التي وقعت فيها، فقد ذكر المؤرخ أن بهرام باشا أقام معسكره الأول قرب مدينة دمار، ومن ثم

نقل ركابه إلى مخيمة الجديد أي مدينة ملحظ، وعادت ما كان العثمانيون يقيمون مخيماتهم قرب المدن، ولعل ما ورد عند المؤرخ المطيب عن أحداث فتنة الجند في ملحظ دليلاً، فقد ذكر خروج الأمير علي من قصر ملحظ إلى خارج مدينة دمار حيث يشير النص بقوة إلى أن ملحظ قريبة جداً من دمار، بل يوحي بأنها جزء من المدينة "فلما كان نصف الليل بعد ذلك اليوم، خرج الأمير علي بك من القصر من محروس مدينة ملحظ، إلى خارج مدينة دمار، ونصب خيامه خارج المدينة" (٢١)، كما أن المؤرخ في كثير من يتحدث عن مدينة دمار وكأنها مقر بهرام دون الإشارة إلى ملحظ، ومن ذلك وصول رهينة الأمير عبدالرحمن بن المطهر "وصار الرهين المذكور مقيماً بدمار، تحت نظر مولانا المشمول بنظر العزيز القهار" (٢٢) فالمؤرخ يتحدث عن مدينة دمار هنا على أنها مقر الوالي، وكذلك الحال في حديثه عن وصول محمد آغا المتسلم من قبل السلطان "ولمّا وصل إلى بيت الفقيه [...] بلغه خبر ما جرى من العسكر من التعدي على حضرة مولانا بهرام باشا أعزه الله تعالى، فحينئذ بادر بالوصول إلى محروسة مدينة دمار، وواجه حضرة مولانا الباشا أعزه الله تعالى" (٢٣) وهنا يتحدث عن مدينة دمار مقر الوالي بهرام ولا يذكر مدينة ملحظ، ولا يختلف الأمر كثير في حديث المؤرخ عن خروج بهرام لاستقبال مصطفى باشا الوالي العثماني الجديد فقد أشار إلى خروجه من مدينة دمار "وفي رابع شهر ربيع الآخر (٢٤) منها [أي سنة ٩٨٣ هـ]، خرج مولانا الباشا بهرام نصره الله تعالى من مدينة دمار، وصحبته المشايخ باجمعهم، واليازجية والشاوشية، وخرج في تشييعه الأمراء والأغوات، والعساكر المنصورة" (٢٥) أن كل ما ورد سابقاً يضعنا أمام احتمالين:

الأول أن المدينتان كانتا مقران دائمان لبهرام باشا لإدارة شئون الولاية، وأنه كان كثير التنقل بينهما، وهذا بدوره يدل على تقارب المدينتين جغرافياً.

الثاني : أن مدينة ملحظ قريبة جداً من مدينة دمار أو تكاد تكون جزء منها وهو ما جعل المؤرخ يطق على ملحظ أسم دمار. بمعنى تسمية الخاص بالعام، والجزء بالكل، وهو الاحتمال الأكثر ترجيحاً. وفي كلا الحالتين فإن مدينة ملحظ كانت تقع في الجهة الجنوبية من مدينة دمار وذلك وقف ما ورد لدى المؤرخ المطيب أو عند غيره من المؤرخين.

وذكر المؤرخ أن تأسيس المدينة كان في ١٠ رمضان سنة ٩٧٨ هـ / ٧ فبراير ١٥٧٠م بقوله "وفي العاشر من رمضان المبارك منها [يقصد سنة ٩٧٨ هـ] أخطت مولانا أسعده الله تعالى مدينة ملحظ حرسها الله تعالى، وأمد أهلها من الخيرات بأوفر نصيب وحظ، ونقل ركابه السعيد من مخيمه الأول إلى المدينة، لازال الظفر حالاً ببقعتها المشهورة" (٢٦).

وكان المؤرخ قد ذكر أن بهرام دخل مدينة دمار نهار الجمعة ١٥ شعبان سنة ٩٧٨ هـ / ١٣ ديسمبر ١٥٧٠م (٢٧). وأنه اجتمع مع سنان باشا في دمار، وأشار . أيضاً . إلى أن بهرام أقام مخيمه السلطاني بها، وذلك في سياق حديثه عن خروج الموبه (٢٨) على سلطة الدولة العثمانية في الوقت الذي كان فيه

بهرام في دمار، وأن بهرام جرد حملة عسكرية تمكنت من القضاء عليه وقطع مجموعة من رؤوس أنصاره وإيصالها إلى المخيم السلطاني في دمار.^(٢٩) ويلاحظ من خلال ما ورد عند المؤرخ أن بهرام باشا لم يقيم في معسكره الأول في دمار سوى خمسة وعشرين يوماً فقط، وأنه أنتقل إلى ملحق، وعلى الرغم من أن المؤرخ قد ذكر أن بهرام أنتقل إلى مدينة ملحق، إلا أن ذلك لا يعني وجود المدينة بالفعل عند انتقاله، لأنه من غير المعقول أن تُبنى مدينة خلال خمسة وعشرين يوماً. وسنتناول هذه القضية في نهاية الدراسة.

وعلى المطيب تسميتها بملحق بقوله " وكان في تسمية المدينة بالاسم المذكور تفاقماً بأن تكون ملحظاً للخير والبركة والنصر"^(٣٠)، مبيناً أيضاً أن عدد حروف أسمها قد وافق تاريخ بنائها بقوله "وعدد حروف الاسم بالجمال تاريخها، فكانت والله كذلك فطابق الاسم المقصود، وأجتمع في ربعا الخيرات والسعود، و رخصت بها الأسعار، وجلبت إليها البضائع من جميع الأقطار، حتى صارت محط أمن للوافدين، وملجأ خير للقاصدين، ومريحاً للغادين والرائحين، وفي تسميتها يُستنبط تاريخ اختطاطها من عدد حروفها"^(٣١)، وبحساب الجمال نجد أن أسمها فعلاً يطابق تاريخ بناؤها، لان حرف م = ٤٠، وحرف ل = ٣٠، وحرف ح = ٨، وحرف ظ = ٩٠٠ ومجموع هذه الحروف يساوي ٩٧٨، وهو نفس تاريخ بنائها^(٣٢). مؤكداً أن بهرام باشا قد فضل السكن في ملحق بدلاً عن دمار بقوله:

أشرق الكون واستطار سناه * وغدا الليل البهيم نهارا
حلت الشمس بُرجها فهو سعد * شامل من دنى ومن قد توارى
لحظ الطرف ملحظ الخير دارا * فارتضاها لنزله لا دمارا^(٣٣)

المنشآت العمرانية

. الجامع

أورد المؤرخ معلومات حول جامع ملحق، وحدد تاريخ الانتهاء من تعميره بشعبان من سنة ٩٨٠ هـ / ديسمبر ١٥٧٢م، بقوله " وفي شعبان من السنة المذكورة، عمّر مولانا وفقه الله تعالى جامعاً بمدينة ملحق، وأكده وأحكم عمارته وشيده، ووقفه ورتب فيه إماماً ومؤذناً ومقيماً، وأقام به جمعة في غرة رمضان منها (أي من السنة نفسها) وكان من المشاعر المحضرة، وأماكن الفضل المشهورة، ومحل إجابة الدعوات، ومهبط لأهل الصلاح والخيرات"^(٣٤). دون أن يذكر تاريخ تأسيسه، إلا أنه يمكن القول إن تأسيس الجامع كان في عام ٩٧٨ هـ / ١٥٧٠م وهو العام الذي أختطت فيه المدينة على اعتباره من المرافق الرئيسية لتكوين المدينة وأن افتتاحه كان بعد مرور سنتين من استقرار بهرام في ملحق.

و قد وصف المؤرخ المطيب جامع ملحق بقوله:

زادها الجامع الكريم فخارا * محكم الصنع لا تبارى شيارا
شاده صاحب السعادة قربي * لكريم جزاه عدناً قرارا
زاده الله رفعة واقتدارا * وتعالى جلاله أن يبارى^(٣٥)

القصر والمباني

ومن المنشآت العمرانية التي وردت عند المؤرخ قصر ملحظ، فقد ذكره في أكثر من مناسبة، فعلى سبيل المثال: ورد ذكر القصر عند حديث المؤرخ عن فتنة الدفتردار^(٣٦) سنة ٩٨٣هـ/١٥٧٥م. بقوله "وصلت عروض الأمير علي بك بذار، ومن معه من الأمراء والأغوات، تتضمن أن جماعة من العسكر المفسدين صاروا يسعون بالفساد، وينهبون في الطرقات [...]. وأنهم قصدوا الأمير علي بك، والأمراء الذين معه إلى القصر [...]. وحاصروهم من الصباح إلى المساء، [...] فلما كان نصف الليل بعد ذلك اليوم، خرج الأمير علي بك من القصر من محروس مدينة ملحظ، إلى خارج مدينة دمار"^(٣٧) وقدم المؤرخ المطيب وصفاً للمدينة وقصرها بقوله:

فعلت في الوجود قدراً وأدرت * * بالذي شاد قبل كسرى ودارا
كل قصرٍ بها ينير افتخارا * * أخجل البدر فاستجن سرارا
مثل دار النعيم بالخور و * * الولدان أجرت في الدنا أنهارا
ما رأت ضرة لها العين أصلا * * بل ولا دونها تداني اقتدارا^(٣٨)

أشار المؤرخ في تلك الأبيات إلى وجود القصور، والمباني الفخمة، وهذه المعلومات تشير إلى التطور العمراني في مدينة ملحظ في عهد بهرام باشا. وقد بالغ المؤرخ كثيرا في وصف مباني المدينة، فقد جعلها في مصاف القصور التي بناها ملوك الفرس، و يبقى السؤال هل شاهد المؤرخ تلك المباني بمعنى آخر هل زار المدينة، أم انه أعتمد على روايات من شاهدوا المدينة.

مدينة ملحظ مركز حكم ولاية اليمن

أصبحت مدينة ملحظ بعد أن استقر فيها بهرام باشا مركزاً لحكم ولاية اليمن، فقد أدار منها جميع شؤون الولاية خلال فترة حكمه. وقد أشار المطيب إلى أهمية المدينة، وأنها أصبحت جديرة بأن تصبح مقراً لوالي اليمن بقوله "وهي مدينة ... جديرة بأن تصير تحت المملكة العثمانية، ومقراً لباشا الجهات اليمانية"^(٣٩) ولعل ما ورد عند المؤرخ المطيب من معلومات عن الأحداث السياسية التي شهدتها مدينة ملحظ في عهد بهرام باشا يؤكد ذلك ومنها.

. وصول الوفود:

ذكر المؤرخ المطيب وصول العديد من وفادات مشائخ القبائل اليمنية إلى بهرام باشا، ومن تلك الوفادات وفادة الشيخ أحمد الحُجري شيخ منطقة الحُجْرية " وفي جمادى الأولى من السنة المذكورة [٩٨٠هـ/ ١٥٧٢م] قدم على مولانا نصره الله تعالى الأمير أحمد الحجري بمدينة ملحظ المعمورة، وكان قد طلبه قبل ذلك مولانا الوزير سنان، وتأخر عن الوصول إليه، غير مُظهر للعصيان عليه [...] فأقام بمدينة ملحظ شهرين، لم يعتره بها ضرر ولا شين، تحت نظر مولانا"^(٤٠).

كما ذكر أيضاً وصول الشيخ أحمد النواري شيخ منطقة سماه إلى ملحظ، بعد أن سقط حصنه بأيدي العساكر العثمانيين، وطلب الأمان له ولأولاده " وفي شهر ربيع الآخر منه [٩٨٢هـ/ ١٥٨٤م]، بعد أن حصل على الشيخ احمد النواري صاحب حصن سماه غاية الضيق والشدة، من الحرب في تلك المدة، أجاب بالسمع والطاعة، وبرز على قدم الاستطاعة [...] إلى مدينة ملحظ فدخلها يوم الثلاثاء،

وواجه مولانا صاحب السعادة في يومه ذلك، فقابله بالأمن والأمان [...] وكساه وولده وأصحابه، وأحسن إليهم غاية الإحسان".^(٤١)

- تنفيذ العقوبات:

مثلاً كانت ملحظ محطة لوصول الوفادات إلى بهرام، فإنها غدت ساحة تُنفذ فيها العقوبات ضد الجماعات والأفراد الخارجين على سلطة الدولة العثمانية كون هذا الأجراء ينفذ في مركز حكم الولاية، باعتبار أن تنفيذها يكون بهدف التشهير لردع الآخرين، ولأخذ العظة والعبرة، وأهم ما ذكره المؤرخ في هذا الخصوص هو معاقبة بهرام لمشائخ بني مطر^(٤٢) بقوله "ثم في ثالث جمادى الأولى من السنة المذكورة، [٩٨٠هـ / ١٥٧٢م] أمر مولانا أعزه الله تعالى بالتجهيز على طائفة تدعى بني مطر، فمكّنه الله تعالى منهم ونصر وقبض قلاعهم وكانت أربع قلاع [...] وأوثق خمسة من أشياخهم وأسر، فساخت جلودهم وحشيت بالتبن والحشر،^(٤٣) وجعل المذكورين عبره لمن اعتبر، و أركبوا تلك السلوخ المحشية ظهور الحمر، وصيح عليهم بمدينة ملحظ يا من قد رأى، وحضر هذا جزء من عصى مولانا السلطان وضر. أيد الله مولانا بالنصر والتمكين، وفتح له الفتحة المبين"^(٤٤).

- محمل الحج* :

اهتمت الدولة العثمانية بمحمل الحج، وأولت عملية تنظيمه عناية فائقة، وسخرت الإمكانيات الاقتصادية والعسكرية للمحافظة على سلامة الحجاج، وكلفت ولايتها بذلك وحملتهم مسؤولية أي أخطاء، أو مشاكل قد تضر بالحجاج، و ربطت بقاء ولايتها في مناصبهم السياسية بمدى سلامة محامل حج ولاياتهم، وولاية اليمن إحدى الولايات العثمانية التي اهتم ولايتها بمحمل الحج^(٤٥)، وقد تميزت فترة ولاية بهرام باشا بانتظام تسيير محامل الحج طوال فترة إقامته في اليمن فقد رصد المؤرخ المطيب خروج و وصول ثلاثة محامل الحج من وإلى مدينة ملحظ من اصل خمسة محامل سيرها بهرام باشا طوال فترة إقامته في اليمن.

كان أول محمل رصده المؤرخ هو محمل سنة ٩٨٠هـ / ١٥٧٢م، حيث وصل إلى ملحظ بعد عودته من موسم الحج بإمرة الأمير محمد آغا "وفي هذه السنة كسا المحمل الشريف كسوة جديدة، منسوجة بأنواع من الإبريسم"^(٤٦) والذهب عديدة، فألبس المحمل السعيد ذلك الكساء الجديد، وفي السنة المذكورة طلع أمير الحج المذكور محمد آغا بالمحمل الشريف، بعد عودة من الحج، وكان طلوعه من مدينة زبيد إلى مدينة ملحظ بأمر مولانا أيده الله، فلم يزل الأغا محمد المذكور، يسير بالمحمل السعيد في السهل والوعر، يدبر السفر به في ذلك بالطف أمر، وصحبته الرتبة المعنية من أعيان العسكر [...] فدخل المحمل الشريف مدينة ملحظ، وكل واحد متعجب منه، والية بنظره يلحظ"^(٤٧).

كما رصد خروج محمل الحج الثاني من ملحظ، سنة ٩٨١هـ / ١٥٧٣م بإمرة الأمير محمد آغا "وفي هذه السنة نزل بالمحمل السعيد، بأمر مولانا من مدينة ملحظ إلى مدينة زبيد محمد آغا أمير الحج لقصد السفر به، فوصل به إلى المدينة المذكورة [يقصد ملحظ]، وقرر على إمارة الحج فيها، فصار في تلك السنة على جاري عادته القديمة، وكان الأمير المذكور حسن السيرة، صافي السريرة [...] وأمنت

السفارة بصحبته على أموالهم، ولم يخافوا ما يحذرونه من تشتيت أحوالهم، فأمن الناس به في ذلك السفر، حتى وصلوا إلى أوطانهم، وكانوا في سفرهم وكأنهم مقيمون بمكانهم" (٤٨).

وثالث محمل رصده المؤرخ المطيب كان محمل سنة ٩٨٢هـ / ١٥٧٤م بإمرة الأمير محمد قزلباش "وفي شهر شعبان المعظم منها، جهز مولانا أمير الحج بالمحمل الشريف السلطاني من القطر اليماني، وهو الأمير الكبير الرئيس الشهير أمير اللواء الشريف محمد قزلباش، نزل من مدينة ملحظ المعمور، إلى مدينة زبيد ومعه عصابة من العسكر المنصور، فوصل إليها وأقام بها إلى شهر شوال، هو ومن معه من صناديد الأبطال، فصار بعد ذلك بالحاج القاصد لبيت الله الحرام، صحبة المحمل الشريف على أحسن حال، وأكمل نظام مطمئنين غير خائفين على أمتعتهم وأموالهم" (٤٩).

إن رصد المؤرخ لهذه المحامل يشير إلى أن ملحظاً أصبحت مركزاً لتوافد حجاج اليمن ليسيروا مع المحمل إلى بيت الله الحرام، وهو من الشعائر الدينية التي حرص الولاة العثمانيون على إقامتها واستمرارها.

. النواحي العسكرية:

كانت ملحظ مقراً للجيش العثماني خلال فترة حكم بهرام باشا، حيث تطالعنا مخطوطة المؤرخ المطيب بأخبار خروج الحملات العسكرية من المدينة لإخضاع التمرد في المناطق المختلفة. ومن ذلك خروج حملة بقيادة الشيخ أحمد الحُجري لإخضاع مناطق الحُجْرية بقوله "ثم نزل الأمير احمد المذكور من المدينة المذكورة [يقصد ملحظ] ثاني يوم من شهر رجب الحرام [سنة ٩٨٠هـ / ١٥٧٢م] ناشراً الرايات والأعلام[...]. فخيم بجهات الحُجْرية، ثم قبضوا بسعد مولانا تلك البلاد، وحصل غاية القصد والمراد، وأذعن جميع أهلها بالطاعة والانقياد" (٥٠).

وورد في المخطوطة تفاصيل وقوع فتنة العسكر الأولى في مدينة ملحظ منتصف ذي القعدة سنة ٩٨٢هـ / أواخر فبراير ١٥٧٤م، والتي عمل الدفتردار على إثارها. وفق ما ورد عند المؤرخ. وذلك حين حرض العسكر على المطالبة بحقوقهم المالية من بهرام باشا "وظهر من الدفتردار المذكور لكافة العسكر العثماني، إني قد جئتمكم بمرسوم شريف سلطاني، محتوٍ على ما فيه لكم من الكفاية، بقبض ما تطيب به قلوبكم من العليق (٥١) والجراية (٥٢)، فاجتمع جمع العسكر العظيم [...] وطلبوا من مولانا المشمول بعين الرعاية والتوفيق، معلوم خمسة أعوام من العليق [...] وظهر منهم الخلاف العظيم، يرمون بالبنادق النيرانية المحرقة، يسلون سيوفهم عن إغمادها [...] حتى وصلوا إلى جامع ملحظ وهم كذلك رامون، ولمخالفة أمره أعزه الله تعالى قاصدون، وبدر منهم هذا الأمر الشديد، وتتابع عنهم الخلاف حتى فعل كل منهم ما يريد" (٥٣).

وورد عنده أيضاً أخبار فتنة العسكر الثانية في ملحظ في أوائل شهر ربيع آخر ٩٨٣هـ / يوليو ١٥٧٥م، وذلك حين قام العسكر بحصار علي بك نائب بهرام باشا في مدينة ملحظ وطلبوا منه التذاكر (٥٤) بالترقي. "أن جماعة من العسكر المفسدين صاروا يسعون بالفساد، وينهبون في الطرقات [...] أنهم قصدوا الأمير علي بك، والأمراء الذين معه إلى القصر [...] ورموه بالبنادق، فقتل من أصحابه جماعة من

البندق، بعد أن كسروا الأبواب، وحاصروهم من الصباح إلى المساء، وحبسوا أغا الجشاريان^(٥٥) فائق أغا، وبعد ذلك وقع الاتفاق بينهم على أن الأمير علي بك يعطيهم تذاكر بالترقي، فأعطاهم ذلك بسبب؛ الإدارة لهم ودفعاً لشهرهم [...] فلما كان نصف الليل بعد ذلك اليوم، خرج الأمير علي بك من القصر من محروس مدينة ملحظ، إلى خارج مدينة دمار، ونصب خيامه خارج المدينة فلما أصبح الصباح، وصل إليه الأمراء، والأغوات، وأعيان العسكر، وقالوا له ما السبب لخروجك من المدينة، فقال لهم السبب ما فعله العسكر بالأمس^(٥٦).

وكان أن بهرام باشا حين غادر ملحظ عقب صدور قرار عزله قد أمر نائبه علي بك بالبقاء في ملحظ لضبط البلاد والعسكر^(٥٧).

كانت تلك هي أهم المعلومات التي وردت عند المؤرخ المطيب الزبيدي حول مدينة ملحظ. الجدير بالذكر أن المؤرخ المطيب قد عاصر فترة حكم بهرام باشا وكان كاتب سيرته، إلا أنه لم يشير في كتابه إلى مرافقته لبهرام أو التقائه به، وفي الوقت نفسه لم يرد في كتابه ما يشير إلى قيامه بزيارة مدينة دمار، ومن ثم مشاهدة مدينة ملحظ، ولم يبين مصدر معلوماته عن سيرة بهرام باشا، فقد كان المطيب يعيش في مدينة زبيد، وعلى الرغم مما ذكره من وصف مباني ملحظ في إحدى قصائده إلا أن ذلك لا يعني بالضرورة رؤيتها، خاصة وأن الوصف كان مبالغاً فيه كما يبدو، إذ أوصل تلك المباني في ضخامتها إلى مصاف ما شيده ملوك فارس من قصور، وقد نجد له عذراً فيما كتبه فهو مؤلف سيرة والي عثماني، وكتاب السير غالباً ما يبالغون في وصف منجزات أصحابها ويحيطون أعمالهم بهالة من التعظيم.

ويبدو أن المطيب لم يؤلف كتابه إلا بعد رحيل يهرام باشا فقد دون أحداث آخر أيام بهرام في اليمن، أو بمعنى أصح دون أحداث آخر يوم لبهرام في زبيد، كما أن المؤرخ الرحالة الجابري الذي زار زبيد سنة ٩٩٦ هـ / ١٥٨٨ م والتقى بالمطيب وترجم له لم يذكر تأليف المطيب لكتاب بلوغ المرام، فقد ذكر أهم مصنفات المطيب ورسائله واستدراكاته اللغوية والنحوية وغير ذلك، فمن غير المعقول أن يذكر كل تلك المؤلفات ويغفل ذكر كتاب بلوغ المرام.

ومما سبق يمكن القول أن المؤرخ المطيب لم يزر مدينة ملحظ، فلو تسنى له ذلك لقدم وصفاً دقيقاً للمدينة من حيث موقعها، ومبانيها، ولكل ما شاهده فيها، فما قدمه من معلومات عنها كانت عامة وإن كانت أكثر مما ورد عنها عند غيره من المؤرخين، إلا أنه أغفل بعض المعلومات المهمة عن المدينة والتي وردت عند كثير من المؤرخين، مثل العملة الملحظية، والسوق، الحمامات، كما أن معلوماته عن المدينة لا ترقى إلى مستوى من شاهدها بعينه ووصفها، بالإضافة إلى أن ذكره لها جاء في سياق حديثه عن الأحداث التي دارت فيها خلال فترة حكم بهرام باشا، لذا يمكن القول المؤرخ المطيب أعتمد على الرواية الشفوية كمصدر للمعلومات عن المدينة ملحظ وكذلك الحال يبدو عن سيرة بهرام.

ملحظ عند المؤرخ عبدالله بن داعر (كان حياً إلى سنة ١٠٣٠ هـ / ١٦٢٠ م)*.

قدم المؤرخ ابن داعر معلومات قيمة حول مدينة ملحظ، فهو المؤرخ الوحيد - حسب علمي - الذي بين بشكل واضح، ومنطقي مراحل تطورها، وتحولها من معسكر إلى مدينة، بقوله "وطال مقامه على ذلك

[يقصد بهرام باشا] بظاهر ذمار، حتى صار ذلك المعسكر مدينة ذات دور، ودواوير وحمامات، وجامع يصلى فيه مدى الأيام والشهور، وطويت الخيام، واستغنى عنها في غالب الأمر بالمنازل والبيوت، واستطاب هنالك المقام، وسمى تلك المحلة ملحظاً، ونقش اسمها على السكة السلطانية في سلف من أيام إقامته هنالك ومضى^(٥٨).

إن ما أشار إليه المؤرخ ابن داعر يبين تطور مدينة ملحظ فهي في الأصل معسكر للجيش العثماني، فقد أشتهر العثمانيون بأنهم كانوا يفضلون البقاء في معسكرات خارج المدن، وبين أن طول بقاء بهرام في معسكر ملحظ هو ما حوله إلى مدينة. فقد استبدل الناس أو الجند الخيام بالبيوت، والدور والدواوير، ومن ثم تم بناء الجامع، وضرب العملة الملحظية. وقد حدد المؤرخ موقع المدينة بأنها كانت بظاهر ذمار، وهذا التحديد بين مدى قرب ملحظ من ذمار، كما انفرد المؤرخ ابن داعر بذكر وجود حمامات في مدينة ملحظ، وهي معلومة لم ترد عند غير من المؤرخين. وإلى جانب ما قدمه المؤرخ ابن داعر من معلومات عن تسمية المدينة بملحظ كما ذكرنا سابقاً، فإنه أشار أن تسميتها كانت بعدد سنوات ابتداء حكم بهرام باشا بقوله "وكانت مدة ولايته ست سنوات، إذ السنة التي تولى فيها ممالك اليمن هي سنة ثمان وسبعين وتسعمائة، لذلك سميت البقعة التي عسكر بها خارج ظاهر ذمار ملحظ حيث كان هذا الاسم جامعاً لعدد سنوات تاريخ ابتداء ولايته"^(٥٩).

و المؤرخ ابن داعر حسب ما ذكر في مؤلفه وصل إلى اليمن سنة ٩٩٥هـ / ١٥٨٧م دون أن يذكر الجهة قدومه، وقد عاش حتى سنة ١٠٣٠هـ / ١٦٢٠م ودون مؤلفه خلال هذه الفترة، وما ذكره عن المدينة جاء في سياق حديثه عن فترة حكم بهرام باشا لليمن، ولم يذكر انه زار ملحظ، إلا أن معلوماته التي قدمها عن المدينة تأتي بعد مرور ما يقارب خمسين سنة على تأسيسها، وهذا الأمر يدل على أن المدينة ظلت باقية بنفس الاسم ولم يعتريها أي تغير سلبي بمعنى حدوث هجرة منها أو خراب أو ما إلى ذلك، لأن مثل هذا الأمر لم يكن سيفعله المؤرخ ابن داعر في حديثه عنها.

ملحظ عند المؤرخ عبد الصمد الموزعي (كان حياً إلى سنة ١٠٣١هـ / ١٦٢١م).

ذكر المؤرخ عبد الصمد الموزعي مدينة ملحظ عند حديثه عن ولاية بهرام باشا، حيث أشار إلى موقع المدينة، وضرب العملة المعروفة بالملحظية، وبناء الجامع والعمارات، فقد حدد موقع المدينة بأنها تقع إلى الجنوب من مدينة ذمار بقوله "ثم طلع إلى اليمن الأعلى [يقصد بهرام باشا] وأحب السكون في ذمار، فأقام هناك، وكان مقامه نازحاً منها مما يلي اليمن الأسفل في محل يقال له ملحظ، فأقام هناك قريباً من خمس سنين"^(٦٠) وتحديد موقع المدينة عند الموزعي لا يختلف مع ما ورد عند ابن داعر فهي بالقرب من ذمار من جهة الجنوب، ولعل استخدام المؤلف لكلمة نازحاً لتحديد موقع إقامة المدينة دليلاً على مدى قرب الموقع من ذمار، وما يؤكد ما ذهبنا إليه من قرب المدينة ما ذكره المؤرخ نفسه بقوله "فصارت

وكأنها مدينة مستقلة" فستخدمه لجملة وكأنها مدينة مستقلة، ربما أرد من وراء ذلك تمييزها عن ذمار لقرب المسافة بين المدينتين.

وأشار المؤرخ إلى ضرب العملة الملحظية بقوله "وضرب السكة المشهورة الباقية مع الناس المسماة بالملحظية"^(٦١) والجدير بالذكر أن المؤرخ الموزعي دون هذه الأخبار بعد مرور ما يقارب خمسين عاماً على رحيل بهرام باشا من اليمن، والإشارة في قوله الباقية مع الناس تدل على أن تلك العملة كانت متداولة في عهد المؤرخ، ومما ورد عند المؤرخ أيضاً ذكر بناء الجامع فقد أشار إلى ذلك بقوله "وأبنتى هناك جامعاً عظيماً، وهو باقٍ إلى الآن"^(٦٢) فمن خلال النص السابق يتضح الأتي: أن الجامع الذي أتم بناءه بهرام باشا سنة ٩٨٠هـ / ١٥٧٢م ظل قائماً حتى عصر المؤرخ الموزعي أي بعد مرور خمسين عاماً، ليس هذا فحسب بل إن وصف المؤرخ له بكلمة عظيم دليل على المكانة التي ظل الجامع يحتلها في ذمار، بالنسبة إلى بقية الجوامع، كما أشار المؤرخ إلى التطور العمراني في مدينة ملحظ، وكيف أصبحت مدينة مستقلة بعد أن أقدم الأمراء والأكابر على ابتناء عمارات فيها بقوله "ومحل إقامته هناك عمارات ابتناها الأمراء والأكابر الذين كانوا معه فصارت وكأنها مدينة مستقلة".^(٦٣) كل ذلك يبين أن مدينة ملحظ حتى عهد المؤرخ الموزعي أي بعد مرور ما يقارب خمسين سنة ظلت باقية ولم تندثر أو يعثر عليها أي خراب أو دمار؛ بل ازدادت تطوراً وعمراناً.

ملحظ عند المؤرخ عيسى بن لطف الله (توفي سنة ١٠٤٨هـ / ١٦٣٨م).

ورد ذكر مدينة ملحظ عند المؤرخ عيسى بن لطف الله في حديثه عن أهم حوادث سنة ٩٧٨هـ / ١٥٧٠م فذكر اختطاط المدينة وموقعها وتسميتها بقوله "وفيها [أي في هذه السنة] اختط بهرام باشا المدينة التي خارج ذمار، وسماها ملحظ، واسمها بعدد تاريخ عمارتها"^(٦٤). والجدير بالإشارة أن المؤرخ عيسى اتفق مع المؤرخين المطيب وابن داعر حول سبب تسمية المدينة، حيث أكدوا أن تسمية المدينة كانت نسبة إلى تاريخ بنائها (وفق حساب الجمل).

إلا أن أهم ما ورد عند المؤرخ عيسى حول المدينة ذكره لسوقها في حديثه عن فتنة الجند التي وقعت في ملحظ في عهد بهرام سنة ٩٨٢هـ / ١٥٧٤م، فقد أشار إلى قيام الجند بنهب سوق المدينة بقوله "تحزبت العساكر السلطانية على بهرام باشا، وعاثوا الأنام، ونهبوا سوق ملحظ، وكثر الخوف منهم"^(٦٥). وترجع أهمية هذه المعلومات إلى أنها تبين أن ملحظ قد أصبح لها سوق منفرد أو خاص، وهو بالتأكيد غير سوق ذمار، وهذه المعلومات لم ترد عند المؤرخ المطيب عند حديثه عن فتنة الجند.

ملحظ عند المؤرخ المطهر الجرُموزي (توفي سنة ١٠٧٧هـ / ١٦٦٦م).

ظل اسم ملحظ هو الاسم المتعارف عليه للمدينة التي بناها بهرام باشا، إلا أن المؤرخ المطهر الجرُموزي يورد تسمية أخرى للمدينة، حيث أطلق عليها، أو بمعنى أصح وردت عنده باسم "ذمار الصغرى"، فقد ذكر هذا الاسم في حديثه عن تولى اليمن من الأمراء العثمانيين بقوله "ثم بهرام باشا ولي على صنعاء، وبقي في ذمار الصغرى، واقطع كبار العجم البلاد، فغلبوه عليها"^(٦٦) أن ما قدمه المؤرخ الجرُموزي من معلومات عن تسمية المدينة يعد منعطفاً مهماً في تاريخها، فهي المرة الأولى التي تذكر بهذا الاسم، ولا نملك معلومات

دقيقة حول سبب تغير التسمية لقلة المادة التاريخية حول مدينة ملحظ، إلا أن ثمة احتمالين لا ضير من ذكرهما، لإمكانية تعلق سبب تغير التسمية بأحدهما أو بكليهما:

الاحتمال الأول أن سبب تغير اسم ملحظ إلى ذمار الصغرى عند المؤرخ الجرموزي الذي عاش بعد مرور مائة عام على تأسيس المدينة ربما يرجع إلى أن ملحظ بعد رحيل بهرام باشا فقدت دورها السياسي، وهي الميزة التي ميزتها عن ذمار وأعطاها نوعاً من الاستقلالية هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية يبدو أن التوسع العمراني في مدينتي ذمار وملحظ بعد مرور مائة عام على تأسيسها قد جعل المدينتين أكثر تقارباً وربما تداخلت مبانيهما، لذلك بدأ الناس يطلقون عليها أسم ذمار؛ بمعنى طغيان الاسم العام على الخاص أو الكل على الجزء، وأن إضافة اسم الصغرى إلى اسم المدينة يأتي من باب التمييز لها، وهو نوع من المحافظة على الخصوصية أمام قوة الاسم العام أو الاسم الكل.

الاحتمال الثاني له علاقة بالجانب السياسي فتغير أسم المدينة كان بعد خروج العثمانيين من اليمن، وتولي الأئمة للحكم، وهذا ربما يوحي بأن ثقافة المنتصر ربما بدأت تغطي خلال تلك الفترة، حيث يعمل المنتصر على محي مآثر خصمه السياسي، وهو أمر ليس بغريب فالتاريخ يشهد على تحويل كنائس إلى مساجد وكذلك الحال تحويل مساجد إلى كنائس، وتغيير أسماء المدن، فلا يستبعد أن تغير أسم المدينة من ملحظ إلى ذمار يأتي في إطار هذه التغيرات السياسية.

ولعل تعير التسمية يمكن تفسيره بأحد الاحتمالين أو بكليهما وهو ما ارجحه.

ملحظ عند المؤرخ محمد بن إسماعيل الكبسي (توفي سنة ١٣٠٨ هـ / ١٨٩٠ م).

انفرد المؤرخ الكبسي بذكر معلومات حول مدينة ملحظ في كتابه اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، لم ترد عند غيره من المؤرخين وذلك بعد مرور ما يقارب من ٣١٥ سنة من تأسيس المدينة، فهو المؤرخ الوحيد الذي حدد موقع سوق المدينة بشكل دقيق بقوله "سوق ملحظة قبلي قرن ذمار، وعدني مدينة ذمار"^(٦٧) إلا أن النطاق الجغرافي الذي حدد فيه المؤرخ موقع السوق، وكذلك المدينة بطبيعة الحال على اعتبار أن السوق هو جزء من تكوين المدينة كان أكثر اتساعاً مما ورد عن غيره من المؤرخين.

ولعل أهم ما ورد عند المؤرخ الكبسي بخصوص المدينة هو ذكره لخرابها بقوله "والمدينة حق ملحظة بجوار السوق وقد خربت"^(٦٨) وعلى الرغم من أن المؤرخ لم يعط تفاصيل حول أسباب خرابها، ولا تاريخ هذا الخراب، إلا أنه كان أول مؤرخ - حسب علمي - يذكر ذلك دون غيره، وهذه المعلومات بحاجة إلى وقفة عندها لنقاش مدى دقتها. فقد وردت في حاشية الكتاب وليس في متنه، ولا ندري عن سبب كتابتها في الحاشية هل هي استدراك من المؤرخ لما ورد في المتن أم تعليق من المحقق؟ وأين كان الحال فإن هذه المعلومات يكتنفها الغموض، فهي تتحدث عن خراب مدينة ملحظ، إلا أن ربط موقع المدينة بالسوق هو ما جعل المعلومة غير واضحة فأى سوق يقصد، هل سوق ملحظ؟ فإذا كان هو ما يعنيه، فالسؤال هنا كيف تخرّب المدينة ويبقى سوقها قائماً، بل ويصبح معلماً قائماً لتحديد موقعها، فمن الطبيعي أن يخرّب السوق مع المدينة بغض النظر عن أسباب ذلك التخریب، وفي هذه الحالة تصبح معلومات خراب المدينة في محل شك، ولكن يمكن القول أن الخراب كان جزئي وليس كلي وهذا كله في حال أن المقصود طبعاً

بالسوق هو سوق مدينة ملحظ، أم إذا كان المقصود بالسوق هنا هو سوق ذمار الواقع جنوب المدينة ، فإن ذلك يعني مدينة ملحظ تقع جنوب ذمار مباشرة، وهذا الأمر يجعل تحديد موقع المدينة أكثر دقة في إطار النطاق الجغرافي الواسع الذي سبق وأن حدد فيه المؤرخ موقع سوق المدينة، ويتفق مع ما ورد عند بقية المؤرخين الذين حددوا موقع المدينة بالقرب من ذمار من جهة الجنوب.

الخاتمة:

رأينا فيما سبق كيف أن الظروف السياسية جعلت بهرام باشا يتخذ من منطقة ذمار مركزاً لحكمه خلال فترة ولايته التي استمرت خمس سنوات، وإن اختيار هذا الموقع كان نتيجة للوضع السياسي الذي كانت تمر به السلطة العثمانية في اليمن، إذ قصد بهرام باشا الإقامة في مكان يتوسط مناطق النفوذ العثماني التي أقرها صلح سنة (٩٧٧هـ / ١٥٧٠م) بين السلطة العثمانية و المظهر بن شرف الدين، لذلك اختار منطقة ذمار لتحقيق ذلك الغرض واختط بها مدينة ملحظ لتكون مقراً لإدارة أمور ولاية اليمن.

وقد أشار معظم المؤرخين إلى موقع المدينة في سياق حديثهم عنها، فهي على مقربة كبيرة من مدينة ذمار من جهة الجنوب، ولم يخرج على هذا الإجماع سوى المؤرخ الكبسي والذي عاش في فترة متأخرة من تأسيس المدينة، فهو لم يحدد موقع المدينة صراحة، بل أشار إلى أنها تقع بين مدينتي ذمار و ذمار القرن، فهو ادخل موقع المدينة في نطاق جغرافي أوسع، لذلك فإن ما ورد من معلومات عن موقع المدينة عند سابقه من المؤرخين الذين عايشوا فترة تأسيسها وازدهارها هي الأكثر دقة مما ورد عنده، ومن هذا المنطلق يمكن القول بأن مدينة ملحظ تقع جنوب مدينة ذمار.

أما ما يتعلق بتأسيس المدينة فيبدو أنها حالة متطورة للمعسكرات التي كان ينشئها الولاة العثمانيون خارج المدن، فقد ذكر المؤرخ المطيب أن بهرام باشا وصل إلى ذمار نهار الجمعة ١٥ شعبان سنة ٩٧٨هـ / ١٣ ديسمبر ١٥٧٠م، وأقام معسكره هناك، ثم ذكر أن بهرام أختط مدينة ملحظ في العاشر من رمضان سنة ٩٧٨هـ / ١٥٧٠م. أي أن فترة إقامته في المعسكر الأول لم تدم سوى خمسة وعشرين يوماً، وبالتدقيق فيما ورد عند المطيب نجد أن انتقال بهرام كان من معسكر إلى معسكر وليس إلى مدينة لأن المدينة لم تكتمل أركانها بعد، ويمكن تفسير ما ورد عند المؤرخ من أن بهرام انتقل إلى مدينة ملحظ أن المقصود بالمدينة هنا موقع المدينة فقط، فبهرام بعد أن أعلن عزمه تأسيس ملحظ نقل معسكره من ذمار إلى الموقع الجديد، وشرع بعد ذلك بتأسيس المدينة و بناء مرافقها مثل الجامع و القصر وغير ذلك، وإن عملية تطور المعسكر إلى المدينة قد استغرقت فترة زمنية تقارب العامين، فقد ذكر المطيب أن بهرام باشا افتتح جامع ملحظ سنة ٩٨٠هـ / ١٥٧٢م، أي بعد حوالي عامين من إعلان تأسيسها. ، وهذا التفسير يتفق مع ما ورد عند المؤرخ ابن داعر حيث أشار إلى أن المدينة هي حالة متطورة للمعسكر الذي أقامه بهرام خارج ذمار، وأن تحول المعسكر إلى مدينة كان نتيجة طول بقاء بهرام في مدينة ذمار حيث حول الجند سكنهم من خيام إلى بيوت. وأن تطور المدينة استمر فيما بعد، فقد ذكر المؤرخ الموزعي أن بعض الناس نقلوا سكنهم من ذمار إلى ملحظ وخاصة أكابر القوم.

أما بخصوص تسمية المدينة فقد أشار كل من المطيب و عيسى بن لطف الله أن التسمية كانت وفق حساب الجمل دون ذكر تعليل آخر لسبب التسمية، في حين بيّن الموزعي أن المدينة بُنيت في المحل المعروف بملحظ أي أن المنطقة كان أسمها في الأصل ملحظاً، في حين ذكر المؤرخ ابن داعر أن أسم المدينة كان جامعاً لعدد سنوات ابتداء حكم بهرام "وفق حساب الجمل" وأشار قبل ذلك إلى أن المكان الذي أقام عليه بهرام معسكره سمي ملحظاً دون الإشارة إلى أن المكان كان يحمل هذا الاسم من قبل.

أما تسميتها بدمار الصغرى كما ورد عند المؤرخ الجرموزي الذي دَوّن كتابه بعد مرور مائة عام على تأسيس مدينة ملحظ، فذلك يعد مؤشراً قوياً على بداية تلاشي أسم ملحظ في الفترات التاريخية اللاحقة، و أن هذا التغير أو التطور ربما يفسر لنا تجاهل المؤرخين ذكر المدينة، فهي أصبحت جزء من دمار، أن اسمها تطابق مع أسم المدينة الأم، ونستطيع القول وفق هذه الفرضية بأن ملحظ الآن ما هي إلا حي من أحياء مدينة دمار.

وبالنسبة للمرافق العامة للمدينة مثل السوق والقصر والجامع و الحمامات المباني وغير ذلك فقد أشار إليها معظم المؤرخين الذين ذكروا مدينة ملحظ. وأما العملة التي ضربها بهرام باشا في ملحظ وأشار إليها بعض المؤرخين باسم الملحظية، فيبدو أنها نفس العملة التي صدرت إليه التوجيهات السلطانية بضربها على نفس المعيار الذي ضربت به في عهد سنان باشا^(٦٩) وتمييزاً لها أطلق عليها اسم الملحظية. ولعل تجاهل المؤرخ المطيب لذكر هذه المعلومات وهو الذي دَوّن أدق التفاصيل عن أعمال بهرام باشا، وألبسها هالة من التعظيم، على اعتبار أن ضرب العملة أو تجديد ضرب العملة من الأعمال التي عادة ما يقوم الولاة بإنجازها، والتي لا يُغفل ذكرها لدى المؤرخين. يعود إلى ما أشرنا إليه سابقاً من انه لم يزر المدينة، وأعتمد على الرواية الشفوية لمعرفة أخبار بهرام باشا، وربما لم تنقل له كل المعلومات عن سيرة بهرام باشا و منجزاته.

وهكذا بدا واضحاً الدور السياسي الذي لعبته مدينة ملحظ في تاريخ اليمن، حيث كانت مركزاً لولاية اليمن خلال فترة حكم الوالي العثماني بهرام باشا، وأن الغرض من بنائها كان غرضاً سياسياً لتكون مقراً للحاكم العثماني بعيداً من مساكن العامة في دمار، وأن ملحظاً قد أجمعت فيها عناصر المدينة (الجامع، دار الحكم، دار الضرب، الأحياء، السوق)، فهي بذلك تتشابه - إلى حد كبير - مع حيّ بئر العزب في صنعاء الذي أخط في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي^(٧٠) وربما تكون مدينة ملحظ الأقدم من حيث التأسيس، وظهور هذا النوع من المدن في اليمن خلال العهد العثماني، فحي بئر العزب لم يشتهر وتنتقل إليه الطبقات الحاكمة إلا في فترة متأخرة، ولم يرد ذكر الحي في المصادر التاريخية المدونة في القرن العاشر الهجري، كما لم أعثر على معلومات تحدد تاريخ بنائه، أو انتقال العثمانيون إليه، ليكون مقراً للحكم، في حين تردد ذكر الحي في المصادر التاريخية في العهد القاسمي، والعهد العثماني الثاني.

وعلى الرغم مما أشرنا إليه سابقاً إلا أن الباب ما يزال مفتوحاً لمزيد من الدراسات المتخصصة لمعرفة تاريخ هذه المدينة، على اعتباره جزء مهماً من تاريخ مدينة دمار بصفة خاصة واليمن بصفة خاصة كما أشرنا في بداية هذه الدراسة.

الهوامش

١ () هو الكتاب الذي ألفه المؤرخ المطيب الزبيدي خدمة للدولة العثمانية حيث أكد ذلك بقوله "ألف هذا الكتاب خدمة للحضرة الشريفة والمكارم العلية المنيفة من خصها الله تعالى بالرياسة الأنسية بالاستحقاق، والنفس القدسية الحاوية لمحاسن الأخلاق". ولذكر بعض أيامها في اليمن في عهد بهرام باشا "جمعت فيه بعض تاريخ بعض أيام الدولة العثمانية باليمن المعمور، وما وقع في تلك الأيام من الفتح المشهور، المنصورة بنيابة مولانا [...] بهرام باشا" وقد

قسم المؤلف كتابه إلى ستة أبواب، كما رتب أحداث كتابه بطريقة الحوليات، فقد دون أحداث ست سنوات، وقد أجمعت كل المصادر والمراجع، على ذكر نسخة وحيدة للمخطوطة وهي النسخة الموجودة في المكتبة الوطنية بباريس، وصورتها الموجودة في الخزنة التيمورية بدار الكتب في القاهرة وهي صورة منسوخة من ميكروفيلم للنسخة الأصلية. سالم : المؤرخون اليمنيون . ص ٥٢. للمزيد من التفاصيل عن المخطوطة أنظر المصري : موقف المؤرخين اليمنيين: (١٩١٣. ١٩٣)

(٢) هو محمد بن يحيى المطيب الزبيدي الحنفي أحد أشهر المؤرخين اليمنيين في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي وممن عاشوا أحداث تلك الفترة، فقد أرخ لبعض مجريات تلك الأحداث (فترة حكم بهرام باشا ٩٧٧. ٩٨٣هـ / ١٥٦٩. ١٥٧٥م)، وكان من أشد المؤرخين تحيزاً إلى جانب العثمانيين، حظي بشهرة علمية كبيرة في مدينة زبيد، وصفه الرحالة الجابري في كتابه (سفينة السفر)، حين زار مدينة زبيد سنة ٩٩٦هـ / ١٥٨٨م والتقى به في مسجد الأشاعر بقوله "الشيخ الإمام سيبويه اليمن وبهجة الزمن شيخ العربية، ورافع علمها الخافق وناشرها، وجامع أدواتها المتفرقة وحاشرها جمال الدين محمد بن يحيى المطيب الحنفي، طيب الله أنفاسه وحلا بثمار الفرائد غراسه، إمام برع في هذا الفن وأعرب عن مخابئه وأتقن" وقال عنه أيضاً "وحضرت مراراً مجالس تدريسه فما رأيت أفصح من منطقته وترسله للقراءة في الإملاء للتفسير وغيره، مع اللهجة البارة المعجمة، والألفاظ المطيعة له في حال الإملاء"، وقال أيضاً "وكان باذلاً نفسه للإقراء، ولنفع المسلمين من الطلاب وحلقته مشحونة بالصغير والكبير والشريف والحقير، مع لطافة الأخلاق [...] وكفاه شرفاً أن صيته بلغ الأفاق، وانه بهذا الفن وتفردته بالعربية حصل له الاتفاق [...] وجميع فضلاء زبيد الآن وكتابها، وفضلائها وأدبائها يحفوا في هذا الفن عليه، وهو شيخ ملقح، قل من قرأ عليه إلا ونجب" شغل المطيب منصب القضاء والإفتاء في زبيد على المذهب الحنفي وتولى التدريس في مدارسها كالمدرسة الفاتنية كما تولى إمامة جامع الأشاعرة والتدريس فيه إلى جانب التدريس في الجامع الكبير الظافري. وتتلذذ على يديه مجموعة من علماء تهامة عامة، وزبيد خاصة. لا يُعرف على وجه الدقة متى كانت وفاته، إذ لا تتوفر معلومات في المصادر التي بين أيدينا حول ذلك سوى ما ذكره العلامة الحضرمي في كتابه (جامعة الأشاعرة) حيث حدد تاريخين مختلفين لوفاته بقوله "العلامة محمد بن يحيى المطيب المتوفى سنة ١٠٠٧هـ [١٥٩٩م] وقيل سنة ١٠٢٨هـ [١٦١٨م]". ولا نعرف المصادر التي أعتمد عليها الحضرمي في تحديده لهذه التواريخ، واعتماداً على ما ذكره العلامة الحضرمي فإن التاريخ الأقرب إلى الدقة لوفاته المؤرخ المطيب هو عام ١٠٠٧هـ / ١٥٥٩م. لأن الفتوى على المذهب الحنفي في زبيد كانت من الوظائف التي شغلها المؤرخ، وانتقلت هذه الوظيفة إلى ابنه أحمد المتوفى سنة ١٠٢٧هـ / ١٦١٧م. فإذا اعتبرنا أن وفاة المؤرخ كانت سنة ١٠٢٨هـ / ١٦١٨م، فكيف تؤول وظيفة الفتوى إلى ابنه وهو مازال على قيد الحياة. كما أن وفاة أحمد بن محمد المطيب وهو ابن المؤرخ كانت سنة ١٠٢٧هـ / ١٦١٧م، ومن الطبيعي والمألوف. ليست قاعدة. أن تكون وفاة والده قبل هذا التاريخ، لوجود فارق زمني بين الأب والابن، لذلك فربما يكون المؤرخ المطيب قد توفى عام ١٠٠٧هـ / ١٥٥٩م هو التاريخ الأكثر دقة لذلك.

(الجابري : سفينة السفر. ق ٢؛ الحضرمي: زبيد مساجدها ومدارسها، ص ٦٣ ؛ للمزيد من التفاصيل عن المؤرخ الزبيدي أنظر المصري: نفس المرجع. ص ١٨٦. ١٩٠)

(٣) بهرام باشا هو ابن مصطفى باشا قره شاهين ، تولى بκληريكية اليمن سنة ٩٧٧هـ / ١٥٦٩م ، وهو من أسرة لها باع طويل في حكم اليمن ، فوالده مصطفى باشا قره شاهين تولى بκληريكية اليمن خلال الفترة ٩٦٤. ٩٦٨هـ / ١٥٥٦ - ١٥٦٠م، وأخوه ورضوان باشا تولى بκληريكية اليمن أيضاً خلال الفترة ٩٧٢. ٩٧٤هـ / ١٥٦٤. ١٥٦٦م ، اختلفت روايات المؤرخين حول شخصيته فقد وصفه المؤرخ الموزعي بحسن السياسة ورفع المظالم عن الناس، وأنه خفف على الرعية ثلث المظالم ولم يفعل ذلك أحد قبله ووصفه المؤرخ المطيب بقوله " وكان مشتمل على جملة من المحاسن منها العلم ، والفهم وحسن التصور والرأي الصائب في السياسة واليد الطولي في علم الرقم والحساب "، في

حين وصفه المؤرخ عيسى بن لطف الله بالشدة والقسوة في التعامل مع المعارضين له والتككيل بهم، فقال عنه " ثم أن بهرام باشا شهر سيفه على قبائل اليمن، وأظهر ما في صدره عليهم من الضغائن والإحن، وقتلهم غيلة وخفية قتلاً جاوز الحد " ، ومن مآثره اختطاط مدينة ملحظ خارج مدينة ذمار وذلك سنة ٩٧٨ هـ / ١٥٧٠ م ، وضرب السكة فيها والتي عرفت بالملحظية، انتهت ولايته سنة ٩٨٣ هـ / ١٥٧٥ م، وغادر اليمن متوجة إلى مكة لأداء فريضة الحج، وحين وصل إلى الباب العالي واجه شكوى من أهل الدفتردار الذي قتله في اليمن، وحبس بسبب ذلك. (الموزعي: الإحسان، ص ٣٣، ٣٤؛ المطيب : بلوغ المرام. ص ٢٨٩ ؛ لطف الله : روح الروح، ص ١٨٣ ، ١٩١؛ الكبسي : اللطائف السنية، ص ١٨٩؛ بن داعر : الفتوحات المرادية. ج ١ ، ق ٢١٤).

٤ () سليمان باشا: من خواص السلطان سليم بن بايزيد تولى عدة مناصب منها رئاسة الوزارة " الصدارة العظمى " عزل عنها بعد أن فشل في القضاء على البرتغاليين في البحر الأحمر في حملته المشهورة سنة ٩٤٥ هـ / ١٥٣٨ م، أنسحب من الحياة السياسية وقضى بقية حياته في إقطاعه الخاص حتى وفاته سنة ٩٦٠ هـ / ١٥٥٣ م اشتهر عنه حبه لسفك الدماء حيث قتل الكثير من أمراء العرب منهم الأمير حاتم الحمزاوي في مصر، والأمير عامر بن داود صاحب عدن . (سالم: الفتح العثماني . هـ. ص ١٦٧ ، ١٦٨ ؛ النهروالي : البرق اليماني . ص ٧٠ ، ٧٧ ، ٨٠).
٥ () اويس باشا : من ممالك السلطان سليم تولى حكم اليمن سنة ٩٥٢ هـ / ١٥٤٦ م خلفا للوالي مصطفى باشا النشار ، قتل في المناطق الوسطى من اليمن إثناء تقدمه إلى صنعاء على يد بعض رجاله وعلى رأسهم حسن بهلوان سنة ٩٥٤ هـ / ١٥٤٨ . (النهروالي: نفس المصدر . ص ٩٥).

٦ () الأمير المطهر بن شرف الدين: هو الأمير المطهر بن الإمام يحيى شرف الدين، عُرف بالشجاعة والإقدام والحزم والسياسية، دخل في صراع مع أخوته ووالده بعد أن استبعد عن ولاية العهد، لعرج في إحدى قدميه، وهذا يخالف شروط الإمامة في المذهب الزيدي. وحين تقدم العثمانيين نحو مناطق الإمام شرف الدين تولى قيادة القوة الزيدية في حروبها ضدهم، وألحق بهم خسائر كبيرة، ثم دخل في صلح معهم، كانت وفاته سنة ٩٨٠ هـ / ١٥٧٢ م. (الإمام الشوكاني: البدر الطالع. ج ٢، ص ٣٠٩ . ٣١٠؛ الشلي: السناء الباهر، ص ٥٨٣ . ٥٣٩).

٧ () زبيد : كانت تعرف قديماً بالحصيب وهي مدينة في وادي زبيد المشهور وأطلق اسم الوادي على المدينة وتقع بين بلدة بيت الفقيه ومدينة حيس في تهامة، ويقال أن محمد بن زياد مؤسس الدولة بني زياد هو الذي أختطها في القرن الثالث الهجري. (الحجري: مجموع بلدان اليمن. ص ٧٣٣؛ المقحفي : معجم البلدان. ج ١ ، ص ٧٣٣).

٨ () سنان باشا : تربى في السراي السلطاني في عهد السلطان سليمان القانوني ، صار أمير في سناجق ملاطية وقسطنطيني في الأناضول، ثم في غرة وطرابلس ، ثم أصبح بكربيكياً لولايات أرض روم وحلب ومصر ، ثم قاد حملة اليمن سنة ٩٧٦ هـ / ١٥٦٨ م ، وتولى مصر ثانية بعد ذلك، وقاد الحملة التي استعادت تونس سنة ٩٨٠ هـ / ١٥٧٣ م ، عاد إلى الأستانة وأصبح وزيراً، وفي عهد السلطان مراد الثالث ثم تولى الصدارة العظمى بعد عودته من حملة بلاد فارس ، ومنذ ذلك الوقت حتى وفاته سنة ١٠٠٤ هـ / ١٥٩٥ م تولى الصدارة العظمى خمس مرات ، كما تولى قيادة الجيوش العثمانية خمس مرات أيضاً، نال شهرة كبيرة حتى قيل أنه ثالث الصدين العظميين إلى جانب رستم باشا و محمد باشا الصوقلي. (سالم : المرجع سابق. هـ . ص ٢٩٩ . ٣٠٠ ، نقلاً عن كاتب جلبي : فذلكة التواريخ . باللغة التركية . ج ١ ، ص ٧٦ ، ٧٧ ؛ المحبي : خلاصة الأثر. ج ٢ ، ٢١٤ ، ٢١٥).

٩ () ثلا : بلدة مشهورة من نواحي صنعاء إلى الغرب الشمالي منها بحوالي ٤٥ كم ، وهي من البلدان الحميرية القديمة، أخذها المطهر مقرأً له في حربه مع العثمانيين لشدة حصانتها ووعورة طرقها. (الحجري : المصدر سابق. ج ١ ص ١٦٦ ، إبراهيم المقحفي : المرجع سابق. ج ١ ص ٢٥٩).

١٠ () كوكبان: حصن شهير إلى الغرب الشمالي من صنعاء ويرتفع حوالي ٣٠٠٠ متر عن مستوى سطح البحر. (المقحفي: المرجع نفسه. ج ٢، ص ١٣٧٥).

١١ () سالم: المصدر سابق . ص ١١٣، ١١٤، ١٨٤، ٢٤٥، ٢٥١، ٢٨٤، ٢٩٣ .

() النهروالي: المصدر سابق. ص ٤٣٠، ٤٣١، ٤٠٤، ٤٣٣، ٤٣٨. (حصن حَبْ : حصن في أعلى جبل بعدان في محافظة إب، ويعتبر من أمنع حصون اليمن ويبلغ إرتفاعه حوالي ٢٢٠٠م عن سطح البحر. الحجري: المصدر سابق . ج ٢، ص ٢٦٦؛ المقحفي : المرجع. سابق ج ١، ص ٤٠٠).

١٣ () النهروالي: المصدر سابق. ص ٤٣٨

١٤ () النهروالي: المصدر سابق ص ٤٣٩.

١٥ () ذمار: مدينة تقع جنوب صنعاء بمسافة ٩٥ كم، يعود تاريخها إلى بداية القرن الأول الميلادي وأتشتهرت كواحدة من مراكز الإشعاع العلمي. (الحجري: المصدر سابق. ج ٢، ص ٣٤١؛ المقحفي: المرجع سابق. ج ١، ص ٦٩٤).

١٦ () الأكوع: عوامل مقاومة أهل اليمن للحكم العثماني. مجلة الإكليل، ص ٣١.

١٧ () ومن تلك التمردات تمرد المنتصر العلاف في ققر حاشد من بلاد يريم جنوب مدينة ذمار، وتمرد الموبه في جيلة جنوب غرب مدينة إب، تمرد الشيخ العواضي صاحب حصن يفوز بمنطقة عراس جنوب مدينة يريم، وتمرد أهالي منطقة جبن جنوب غرب مدينة رداع بزعامة الشيخ عمرالذرحاني. (المطيب : المصدر سابق : ص ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٥٨، ٢٧٢).

١٨ () المطيب : نفس المصدر. ص ٢٣٦ (مخلاف جعفر : وهو ما يعرف اليوم بالبعدين، إب، المذيخرة، السحول. وقيل أنه عرف، بذلك نسبة إلى الجعافر وهم ملوك تلك المنطقة قبل الإسلام. المقحفي: المرجع سابق. ج ٢، ص ٣٣٧).

١٩ () وتشمل حصون دنوه، ريمة، بلاد الجمعة، السلفية، سماه، عتمة، يفغان (المطيب : المصدر سابق. ص ٢٤٨، ٢٦٦، ٢٧٢، ٢٧١).

٢٠ () المطيب: نفس المصدر . ص ٢٤٣.

٢١ () المطيب: نفس المصدر : ص ٢٨١.

٢٢ () المطيب: نفس المصدر : ص ٢٥٩.

٢٣ () المطيب: نفس المصدر. ص ٢٧٢.

٢٤ () ١٤ يوليو ١٥٧٥ م

٢٥ () المطيب: نفس المصدر : ص ٢٧٨.

٢٦ () نفس المصدر: ص ٢٤٢.

٢٧ () نفس المصدر: ص ٢٤٠.

٢٨ () لم اعثر له على ترجمة ويبدو انه أحد مشائخ جيلة جنوب غرب مدينة إب.

٢٩ () نفس المصدر: ص ٢٤٢.

٣٠ () نفس المصدر: ص ٢٤٢.

٣١ () المطيب: المصدر سابق ص ٢٤٣.

٣٢ () المدينة بنيت سنة ٩٧٨ هـ، وبحساب الجمل نجد أن أسمها فعلاً يطابق تاريخ بناؤها، لان حرف م = ٤٠، وحرف ل = ٣٠، وحرف ح = ٨، وحرف ظ = ٩٠٠ ومجموع هذه الحروف يساوي ٩٧٨، وهو نفس تاريخ تأسيسها. (المشوخي : المخطوطات العربية . ص ٥٠).

٣٣ () نفس المصدر: ص ٢٤٤.

٣٤ () نفس المصدر: ص ٢٥٤.

٣٥ () نفس المصدر: ص ٢٤٤.

٣٦ () الدفتردار : لقب عثماني يعني رئيس موظفي الواردات والخزينة في الولاية، ومن مهامه الإشراف على تنفيذ الأحكام الواردة في الميزانية السنوية، وعلى التشكيلات المالية الموجودة في الولاية. النهروالي: نفس المصدر. ص ٧٧.

٣٧ () المطيب: المصدر السابق. ص ٢٨١ .

٣٨ () نفس المصدر: ص ٢٤٤ .

٣٩ () نفس المصدر: ص ٢٤٣ .

٤٠ () نفس المصدر: ص ٢٥١ .

٤١ () نفس المصدر: ص ٢٦٣ .

٤٢ () بني مطر: قبيلة مشهورة غربي صنعاء، كانت تعرف ببلاد البستان. المقحفي. المرجع السابق. ج ٢، ص ١٥٥٦ .

٤٣ () الحشر: هي القشرة التي تلي الحبة " حبة الشعير أو القمح ". ابن منظور: لسان العرب. ج ١، ص ٦٤٢

٤٤ () المطيب: المصدر السابق. ص ٢٥٢. ٢٥٣ .

* رصد المؤرخ المطيب محملين للحج الأول سنة ٩٧٨ هـ / ١٥٧١ م و الثاني ٩٧٩ هـ / ١٥٧٢ م، دون أن يشير إلى مكان خروجهما أو وصولهما، أو من تولى إمارتهما. نفس المصدر ص ٢٤٥، ٢٤٧ .

٤٥ () عامر، محمود: قافلة الحج اليمني. ص ٣٣، ٣٤

* رصد المؤرخ المطيب محملين للحج الأول سنة ٩٧٨ هـ / ١٥٧١ م و الثاني ٩٧٩ هـ / ١٥٧٢ م، دون أن يشير إلى مكان خروجهما أو وصولهما، أو من تولى إمارتهما. نفس المصدر ص ٢٤٥، ٢٤٧ .

٤٦ () الابريسيم: كلمة فارسية وأصلها إيريشيم وتعني الحرير. التونجي: المعجم الذهبي. ص ٥٦ .

٤٧ () نفس المصدر: ص ٢٥٥. ٢٥٦ .

٤٨ () نفس المصدر: ص ٢٦٠ .

٤٩ () نفس المصدر: ص ٢٧٠ .

٥٠ () نفس المصدر: ص ٢٥١ .

٥١ () العليق: يطلق على مخصصات الجنود والعساكر والضباط من القمح . سهيل صابان: المعجم الموسوعي . ص ١٥٦ .

٥٢ () الجراية: الراتب. التونجي: المعجم الذهبي . ص ٢٠٢ .

٥٣ () المطيب: المصدر السابق. ص ٢٧١ .

٥٤ () التذاكر: ما يكتب فيها للجنود من أدوات سلطانية وجوامك شريفة، وتكون مقررة من الديوان. (صالحية: وثائق جديدة . هـ . ص ٦٠) .

٥٥ () يبدو انه اسم لإحدى الفرق العسكرية العثمانية.

٥٦ () المطيب: المصدر سابق ص ٢٨١ .

٥٧ () نفس المصدر: ص ٢٧٧ .

* للمزيد من المعلومات عن المؤرخ عبدالله بن داعر أنظر المصري: المرجع السابق. ص ٦٢-٦٥ .

٥٨ () ابن داعر، عبدالله. الفتوحات المرادية. ق 214 .

٥٩ () نفس المصدر. ق ٢١٥ .

٦٠ () الموزعي: المرجع سابق. ص ٤٧

٦١ () نفس المصدر: ص ٤٧

٦٢ () نفس المصدر: ص ٤٧

٦٣ () نفس المصدر: ص ٤٧ .

- ٦٤ () لطف الله، : المصدر سابق. ص ١٩١.
- ٦٥ () نفس المصدر: ص ٢٠٣.
- ٦٦ () الجرموزي: النبذة المشيرة . تحقيق عبدالحكيم الهجري, ص ٣٦٣.
- ٦٧ () الكبسي، المصدر سابق. هـ. ص ١٩٢
- ٦٨ () نفس المصدر: هـ. ص ١٩٢. ورد ذكر هذه المعلومة في حاشية الكتاب وقد وضعها المؤرخ الكبسي نفسه في أصل الكتاب.
- () صالحية: المرجع سابق. ص ٨٤
- ٧٠ () يسر: الموروث الحضاري لصنعاء القديمة . ص ١١٦ .

قائمة المصادر

- . الأكوع، إسماعيل:
- عوامل مقاومة أهل اليمن للحكم العثماني. مجلة الإكليل، العداد ٣١ - ٣٢ يناير و يونيو ٢٠٠٨م.
- . التوينجي، محمد: المعجم الذهبي فارسي - عربي . دار القلم للملايين، بيروت، ط ١ ، ١٩٦٩م.
- . الجابري، أحمد بن محمد:
- سفينة السفر. مخطوطة محفوظة بمكتبة الأستاذ عبد الرحمن الحضرمي، بزبيد، منها نسخة بمعية الباحث،

. الجرموزي: المطهر بن محمد:

النبذة المشيرة إلى جمل من عيون السيرة النبذة المشيرة في جمل من عيون السيرة. دراسة وتحقيق: عبد الحكيم الهجري، تحت عنوان ثورة الإمام القاسم بن محمد ضد الوجود العثماني الأول في اليمن. طروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة صنعاء، ٢٠٠٥م.

. الحجري، محمد:

مجموع بلدان اليمن وقبائلها. تحقيق القاضي إسماعيل الأكوع، دار الحكمة اليمنية، صنعاء، ١٩٩٦م. الحضرمي، عبد الرحمن:

زبيد مساجدها ومدارسها العلمية في التاريخ. المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، صنعاء، ٢٠٠٠م. ابن داعر، عبد الله:

الفتوحات المرادية في الجهات اليمنية. مخطوطة مصورة محفوظة بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم ٢٦٤٢١. ج١، ج٢. (منها صورة مع الباحث).

. سالم، سيد مصطفى:

الفتح العثماني الأول لليمن ١٥٣٨-١٦٣٥م. القاهرة، ١٩٩٢م ط٤.

المؤرخون اليمنيون في العهد العثماني الأول. الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، ١٩٧١م. الشلي، محمد:

السناء الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر. تحقيق / إبراهيم المقحفي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط أولى، ٢٠٠٤م.

. الشوكان، محمد بن علي:

البدر الطالع بحاسن من بعد القرن السابع. تصحيح محمد بن محمد زيارة، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

. صابان، سهيل: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية. مكتبة الملك فهد، الرياض، ٢٠٠٠م.

. صالحية، محمد عيسى:

وثائق جديدة عن حملة سنان باشا إلى اليمن. حوليات كلية الآداب جامعة الكويت، الحولية الثامنة، ١٩٨٧، وثيقة رقم ١٩٢٢، ص ٢٠٣. وثيقة رقم ٦٠٣. وثيقة محفوظة بمكتبة الأستاذ فؤاد الشامي.

. عامر، محمود علي:

قافلة الحج اليمني. مجلة الإكليل العدد الأول، سنة ١٩٩٢م، من ص ٣٣ إلى ٤٥.

. الكبسي، محمد بن إسماعيل:

اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية. مطبعة السعادة، القاهرة (د.ت).

. لطف الله، عيسى:

روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح. تحقيق إبراهيم المقحفي، مركز عبادي للطباعة والنشر، صنعاء ٢٠٠٣م.

. المحبي، محمد أمين:

خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر. دار صادر، بيروت، (د.ت).

. المشوخي، عابد سليمان:

المخطوطات العربية مشكلات وحلول. مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ٢٠٠١م.

. المصري، أحمد صالح:

موقف المؤرخين اليمنيين المعاصرين للحكم العثماني الأول بين مؤيد ومخالف. القسم الأول من رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة صنعاء، ٢٠٠٦م.

. المطيب، محمد بن يحيى :

بلوغ المرام في تاريخ دولة مولانا بهرام. تحقيق : أحمد صالح المصري . القسم الثاني من رسالة ماجستير بعنوان موقف المؤرخين اليمنيين المعاصرين للحكم العثماني الأول بين مؤيد ومخالف. مع دراسة وتحقيق مخطوطة المؤرخ المطيب. جامعة صنعاء، ٢٠٠٦م.

. المقحفي، إبراهيم:

معجم البلدان والقبائل اليمنية. دار الكلمة ، صنعاء ، ٢٠٠٢م.

. الموزعي، شمس الدين عبد الصمد:

الإحسان في دخول مملكة اليمن تحت ظل عدالة آل عثمان. تحقيق: عبدالله الحبشي، منشورات وزارة الوقاف والأرصاد، صنعاء، (د.ت).

. النهروالي، قطب الدين محمد: البرق اليمني في الفتح العثماني. دار التنوير، بيروت، ١٩٨٦م^٢.

. يسر، محمد عبد العزيز :

الموروث الحضاري لصنعاء القديمة . جامعة صنعاء ٢٠٠٤ م.